جدتي كانت سعيدة

كثيرا ما أتساءل: لماذا كانت جدتي وكل نساء جيلها سعداء لا ينقصهم شيء؟ لماذا كان جُل تفكيرهم في إعداد وجبات جديدة تنال رضا جدي برغم أوقات الفراغ الذي تنعم به النساء حينها!! حيث لا وظيفة ولا خروج من المنزل إلا في المناسبات أو للضرورة القصوى، كما كنت أراها مبتسمة طيلة الوقت تحدثنا نحن الأحفاد ببشاشة وتدللنا وتمنحنا قدراً من الحنان إفتقدناه مع والدينا؟

الحقيقة أن طبيعة الحياة كانت أسهل فكانت تصلي الفجر فور إقامة الصلاة ثم تستقيظ من نومها تعد الفطور لزوجها وأبنائها تعاونها غالبا شغالة تشتري لها ما يلزم المنزل من السوق وتغسل الأطباق والصحون، كما تعمد إلى البيت فتنظفه في حين تترك فرصة لسيدة المنزل أن تهتم بزوجها وأبناءها وتهتم بمظهرها النظيف المنمق داخل البيت، حتى الملابس كان هناك من تقوم بغسلها مقابل المال.

كانت جدتى محظوظة إذ كان جدي يعلم دوره في المنزل جيداً فهو رب البيت المسئول عن توفير متطلبات الأسرة المادية والعاطفية

والنفسية أيضاً، يهتم بمذاكرة الأبناء، وبإصطحابهم للطبيب إذا مرض أحدهم، بينما تقوم جدتي بالسهر على المريض حتى يشفى وتطبق تعليمات الحكيم كما يقولها بحذافيرها، كل منهما يكمل الآخر لم تسعى هي يوماً أن تتنازل عن أمومتها في مقابل جلب المال للأسرة وهو لم يمل من دور المسئول عن الجميع برضا وعن طيب خاطر.

كان يحضر لها الحلويات والشيكولاته والمكسرات التي تحبها وهي تعطي الجميع منها وتحتفظ لنفسها بجزء، وكان يفاجئها بالملابس الجديدة في كل حين ليسعد قلبها لأنه يعلم أن سعادتها ستنعكس على سعادته.

وكانت تخبره بإحتياجات الأولاد من ملابس وأدوات فيشتريها لهم بكل بساطة. ولا أنسى جلساتهم لسماع الأستاذ محمد عبد الوهاب في أسطواناته والست أم كلثوم في حفلاتها الإذاعية الجميلة وهو ما يثرى الذوق العام ويجلب للنفس متعة أيّما متعة تمنح النفس مزيداً من الراحة والخروج من رتابة الحياة وتعيد شحن الروح بكافة أسباب الروقان والسكينة.

قطعا لا ننسى وقت أن ظهر إختراع التليفزيون وكان الجميع يلتف حوله بكل سعادة ليرى كل ما يقدم إليه من وجبات دسمة تحمل الفن والمعلومات والأخبار، وأحاديث الشيوخ الأزهريين بما تحمله من علم نافع للدنيا والآخرة معاً، وأخص بالذكر الشيخ محمد متولي الشعراوي وكلنا يحمل في نفسه مكانة رفيعة له، ومازالت كلماته تؤثر في من سمعها حتى يومنا هذا.

أظن أن أسباب سعادة جيل الجدّات أصبحت واضحة ونجملها في أن أول اهتمامات الزوج والزوجة كانت بالأبناء وتربيتهم وتعليمهم الأخلاق والذوق والعلم النافع لمستقبلهم.

وعدم توارد فكرة الأنانية أو التفكير في الذات أو النظر إلى من يتعب أكثر ومن يعطي مقابل من يأخذ، الجميع يعرف دوره عن ظهر قلب. والأسرة كيان مقدس لا يعبث به أى شيء مهما كان، الجميع يحترمه ويقدسه ويسعى للحفاظ عليه.

ما يسعد النساء في كل زمان ومكان كان وسيظل هو الإهتمام وإن إختلفت طريقة التعبير عنه ولكن الجميع يحتاجه ويمنحه في آن واحد.